المواطنون الرومان فى مصر فى القرنين الاول والثانى الميلاديين
ملاحظات على الوثائق ، ومنهج لدراسة أوضاعهـــــم

بقـــــلم / فـاروق حـافـظ القـاضى

بدخول مصر فى حوزة الرومان فى عام ٣٠ ق٠م ، جد على خريطة السكـــان فى البلاد عنصر مهم جديد هو عنصر المواطنين الرومان Cives romani الذين توافدوا على الولاية الغنيـة من أجل أغراض شتى ، كتولى وظائف الحكـم أو ممارسة النشاط الاقتصادى لاسيما فى مجال التجارة وأعمال المصارف فيما يتعلـق بجباية الضرائب على وجه أخص ، او الانخراط فى سلك الخدمة العسكرية فى جيـش الاحتلال الذى رابطت فرقه وكتائبه فى أنحاء البلاد . وبصفة كون هذا العنصـر الوافد الجديد عنصر السادة الفاتحـين ، كان من الطبيعى ان يتبوأ افـراده مكان الصدارة فى ذلك المجتمع الطبقى الذى كان البطالمة قد أقاموه فـى مصر على أساس سياسة التمييز العنصرى بين فئـات السكان ثم حولته سياسـة الرومان الاجتماعية الصارمة إلى مجتمع جامد التركيب اتخذت طبقاته شكلا هرميـا أكثر حدة وأشد وضوحا . ومن وجهة أخرى كان من الطبيعى أن يتجه اهتمام الباحثين إلى تجميع المادة المتوافرة من المصادر لإجراء دراسة متكاملة عن هذا العنصـر الرومانى من حيث مظاهر حياته ومجالات نشاط افراده فى مصر ومدى تأثيرهـم فى البيئة المصرية أو تأثرهم بها وهم يتربعون على قمة ذلك الهرم الطبقى . وكـان محور الاهتمام عند بعض الباحثين على وجه الخصوص هو تبين مدى انتشار حـق المواطنة الرومانية فى مصر إبان الفترة الواقعة بين بداية الحكم الرومانى وصدور مرسـوم الامبراطور كاركالا المعروف باسم Constitutio Antoniniana فى عام ٢١٢ ، وهو المرسوم الذى منح حق المواطنة الرومانية لكل سكان الامبراطورية فيما عدا فئـة المستسلمين dediticii كما هو معروف .

وبالرغم من أن دراسات شتى قد تناولت جانبا أو آخر من جوانب الموضوع ، فـان ثمة صعوبات كانت ولا تزال تكتنف انجاز دراسة شاملة أو متكاملة عن المواطنـين

الرومان فى مصر . ذلك أن مثل هذه الدراسة تتطلب بادئ ذى بدء إنجاز حصر " بروسوبغرافى " كامل من واقع الوثائق البردية والنقوش اليونانية واللاتينية لجميع أسماء المواطنين الرومان فى مصر ، وهنا تبرز صعوبة ناجمة عن عدم الاتساق فى ذكر الاسماء الرومانية فى هذه الوثائق بطريقة مطردة ، مما أدى الى عدم الاتفاق بين الباحثين على المعيار الذى تتحدد على أساسه بشكل قاطع هوية الشخص المذكور فى الوثيقة على أنه "مواطن رومانى" Civis romanus اعتمادا على الاسم الذى يحمله . ولبيان هذه المسألة نقول أن من المتعارف عليه أنه لكى يكون الاسم دليلا مؤكدا على الجنسية الرومانية ، ينبغى ان يكون مؤلفا من الاجزاء الثلاثة التقليدية وهى على الترتيب : الاسم الشخصى ثم اسم العشيرة ثم الكنية (Praenomen - nomen - cognomen) ، مع التأكيد على اسم العشيرة الرومانى بصفة أخص (١) . وقد لاحظ الباحثون منذ وقت طويل أن اسما شخصيا لاتينيا praenomen مشفوعا باسم عشيرة رومانى لا يدل بالضرورة على أن حامله مواطن رومانى (٢) . كذلك فان هناك شكوكا حول الاسم الثلاثى نفسه حيث تصادف فى الوثائق أشخاصا يحملونه مع انهم لا يتمتعون بحق المواطنة الرومانية ، وأشهر الامثلة على ذلك ورود اسمين لرجلين يحمل أحدهما اسم جايوس يوليوس ديودوروس والآخر اسم جايوس يوليوس بتوليمايوس ضمن قائمة لدافعى ضريبة الرأس λαογραφία فى قرية كرانيس باقليم أرسينوى (الفيوم) ، وهى ضريبة نعلم بالتأكيد أن المواطنين

---

(١) لتمام دلالة الاسم بالتأكيد على الجنسية الرومانية كان يذكر بالاضافة الى ذلك اسم القبيلة ، غير أن هذه القاعدة أهملت فى العصر الامبراطورى حتى فى تلك الوثائق المدونة باللاتينية ، ولم يكن ذلك قاصرا على مصر وحدها بل كان عاما فى كل ولايات الامبراطورية ، راجع :

1. Biezunska-Malowist, L'éxtension du droit romaine en Egypt (Proc. 1X Intern. Cong. Pap., Oslo, 1958) P. 277 & No. I.

(2) Wilcken, Grundzüge, P. 38 & No I; Lesquier, L'armée ronaine en Egypt, pp 219-222 & Passim.

الرومان كانوا معفين منها وبالتالى لا يمكن أن يكون الرجلان مواطنين رومانيين (١). وفضلا عن ذلك فإن الدراسة المتأنية لبعض الوثائق اوضحت أن اشخاصا كانوا بالقطع مواطنين رومان ، لكن الطريقة التى وردت بها اسماؤهم فى الوثائق لا توحى بذلك . ونذكر من الحالات الكثيرة من هذا القبيل احد الامثلة من كرانيس أيضا . ففى وثيقة من عام ١٥٠ م وجدنا شخصا يدعى جايوس يوليوس نيجر C. Iulius Niger وله ابنان هما جايوس ابولیناریوس نيجر C. Apolinari us Niger وجايوس يوليوس لونجينوس C. Iulius Longinus ، وقد توافرت لثلاثتهم الاسماء الرومانية الثلاثية . لكنه فى حوالى عام ٢٠٠ م نجد فى عدد من الوثائق شخصا يحمل اسم هوريون Horion وهو اسم مصرى شاع استخدامه عند المصريين المتاغرقين . ولقد كان من الممكن أن نقنع بترك هوريون هذا مصنفا بين أفراد هذه الفئة لولا أنه فى برديات قليلة أخرى ذكر اسمه كاملا على أنه جايوس جميلوس هوريجنيس .. C. Gemellus Horigenes بن جايوس يوليوس ابولیناریوس بن جايوس يوليوس نيجر . ونستبين من ذلك أننا بإزاء مواطن رومانى ورث هويته الرومانية أبا عن جد بحيث يمثل هو فى ذلك الجيل الثالث على الأقل ، لكنه — فى مناسبة اجراء كان عاديا — يذكر اسمه ببساطة على النحو الذى كان يفعله عادة سائر الاغريق المصريين . ويعنى ذلك أننا يمكن أن نعثر على مواطنين رومان غائبين فى الوثيقة عند نظرتنا الاولى اليها بسبب ذكرهم باسماء يونانية فقط (٢) ، كما يعنى بالتالى ان جهدا كبيرا ينبغى ان يبذل فى تناول عدد غير قليل من الوثائق بدراستها مجتمعة بعضها الى بعض أحيانا ، او تمحيص السياق العام للوثيقة المنفردة تمحيصا شديدا فى أحيان أخرى ، عسى أن تتحدد هوية أشخاص رومان ربما كانت النظرة الاولى قد أخطأتهم .

---

(1) P. Mich, IV: C, Iulius Diodorus 223, 430, 1887; C. Iulius Ptolemaios, 223, 431, 670, 2586.

(2) J. E. Oates, Romanization of the Greek East, Evidence of Egypt, B.A.S.A., 2 (1964) pp. 60-61.

وقد ترتب على هذا الوضع من عدم الاتساق في أساليب ذكر الاسماء الرومانية في الوثائق أن الباحثين ليسوا على اتفاق على معيار تحديد وضع المواطن الروماني على أساس اسمه المذكور في الوثيقة ، وهو بالطبع المتطلب الاول لاجراء حصر المواطنين الرومان في مصر من حيث نسبتهم العددية التقريبية الى بقية عناصر السكان الاخرى على الاقل . وقد تشدد البعض فاشترط ان يرد الاسم ثلاثيا مع التأكيد على اسم العشيرة الروماني وذكر اسم الأم اللاتيني ، وترخص آخرون فذهبوا الى أنه يكفي لاعتبار حامل الاسم مواطنا رومانيا أن يرد اسمه ثلاثيا او حتى ثنائيا فقط ، شريطة أن يرد فيه اسم عشيرة روماني ، مع الاخذ في الاعتبار ايضا ان المواطنين الرومان الذين ينتمون الى أصل ايطالي تتوفر في اسمائهم كل عناصر الاسم اللاتيني ، في حين أن اسم الكنية Cognomen في أسماء الاغريق المصريين الذين حصلوا على حق المواطنة في مصر يرد بالطبع يونانيا .(١)

ولقد يبدو أن من الصعوبات الاخرى التي تعترض اجراء دراسة شاملة لاوضاع المواطنين الرومان في مصر هي قلة الوثائق التي يمكن التعويل عليها لاستخلاص مظاهر حياتهم الاجتماعية ووجوه نشاطهم الاقتصادي ، فضلا عن مستواهم الثقافي ودرجة اصطباغهم هم انفسهم بالصبغة الرومانية بما يتيح لهم — افتراضا — فرصة اسباغ مسحة من ملامح الحياة العامة الرومانية على تلك البلاد . والواقع أن قلة الوثائق أمر حقيقي بالفعل ، كما أن هذه الوثائق القليلة في مجموعها ليست موزعة توزيعا متكافئا على أقاليم مصر المختلفة ، بحيث نجد أكثرها وأهمها خاصا بإقليم ارسينوى (الفيوم) ، لاسيما قرى كرانيس (كوم أوشيم) وفيلادلفيا (جرزة) وثيادلفيا (هريت) . ولذلك وجدنا كل الدراسات التي أجريت حول جانب أو آخر من موضوع المواطنين الرومان في مصر حتى الآن تعتمد اساسا على تحليل تلك الوثائق التي وصلتنا من هذه المواضع الثلاثة . ومن المعلوم أن هذه القرى جادت حقا بكميات كبيرة من الوثائق البردية بصفة

---

(1) I. Biezunska - Malowist, op. cit., p. 278.

عامة ، ولذلك يبدو أمرا طبيعيا أن يصلنا منها عدد من البرديات المدونة باللاتينية ، وقدر أكبر من البرديات اليونانية المتعلقة بالمواطنين الرومان · وهنالك عثرنا على برديات مطولة تحتوى على سجلات لأسماء دافعى الضرائب المختلفة ومنهم بالطبع مواطنون رومان · وقد تبين من بعض هذه السجلات أن نسبة عالية من ملاك الاراضى فى تلك القرى كانوا من هؤلاء المواطنين · (١) كذلك يوجد عدد من الوثائق يمكن أن يضم بعضه الى بعض ليؤلف ما يمكن أن نصفه بالأشيفات المحدودة لافراد من الرومان أقاموا هناك ، ومنهم لوكيوس بللينوس جميلوس L. Bellenus Gemellus وجايوس يوليوس ابولينار يوس وجايوس يوليوس نيجر اللذين سلفت الاشارة اليهما من قبل · ولعل الوفرة النسبية للوثائق المتعلقة بالرومان فى اقليم ارسينوى ذات صلة أيضا بالوفرة النسبية للمواطنين الرومان الذين استوطنوا هذا الاقليم ، وتلك ملاحظة قديمة فطن اليها العلامة "فسلى" منذ وقت طويل واكدتها الدراسات الاحدث · (٢)

لكن ما يسترعى الالتفات فى هذا الصدد حقا هو أن اقليما مثل اكسيرينخوس الذى أمدنا بالعدد الاوفى من وثائق القرون الثلاثة الاولى من الحكم الرومانى فى مصر لم يجُد الا بالقليل من الوثائق المتعلقة بالمواطنين الرومان · ويذكر "تيرنر" أن جملة من أحصاهم فى وثائق هذا الاقليم فى الفترة المذكورة لا يجاوز أحد عشر شخصا من الجنود المسرحين من الجيش Veterani (وكان هؤلاء يتمتعون بحق المواطنة الرومانية بعد تسريحهم من الخدمة) بالاضافة الى سبعة عشر آخرين يمكن التعرف على هويتهم الرومانية من خلال الاسم الثلاثى ، وليس منهم من حصل على حق المواطنة الرومانية بمقتضى مرسوم كاراكالا (C.A. فى عام ٢١٢) وان كان

---

(1) Oates, Philadelphia in the Fayum during the Roman Empire (Atti XI Cong. Intern. Pap., Milano 1966) p. 455. & Boak, The Population of Roman and Byzantine Karanis, Historia 4 (1955),. pp.161-2.

(2) Wessely, Karanis und Soknopaiou Nesus, Vienna, 1900 (quot. D. Samuel. Am. Stud. pap 23, p. 389).

بينهم بعض النسوة.[1] كذلك فإن من يراجع " سجل البرديات اللاتينية " C.P.L. لكافينـــل[2] ، لايجد قدرا يعتد به من برديات اوكسيرينخوس[3] .

غير أنه بالرغم من قلة الوثائق المتعلقة بالرومان فى مجموعها ، وعدم توزعهـــا بالتعادل بين الاقاليم المصرية من حيث المكان او بين قرون الحكم الرومانى مـــن حيث الزمان[4] ، فان الدراسة المتأنية للمتوفر منهافى ضوء الاوضاع العامة فـــى مصـــر وتطور سياسة الاباطرة الرومان نحو الولايات فى مجالات محددة كنظام تعبئـــة القوات العسكرية فى تلك الولايات مثلا ، يمكن أن تؤدى الى استخلاص معلومـــات مهمة عن أحوال الرومان فى مصر فى مناطق محددة بالتأكيد ، لكنها قابلة للتعمـــيم دون الوقوع فى الاخطاء التى ينطوى عليه عادة منهج التعميم فى الدراسات الوثائقية البردية . ويرجع ذلك الى خصوصية وضع طبقة المواطنين الرومان بين بقية عناصـــر السكان فى مصر من الناحية القانونية . حقا انه بمرور الوقت شكلت هذه الطبقة مـــع طبقة مواطنى مدينة الاسكندرية " طبقة اقتصادية " واحدة ، بحيث بات من الصعـــب علينا التفرقة بين الطبقتين من حيث الامتيازات المالية والاقتصادية ، بل من حيـــث العديد من مظاهر الوضع الاجتماعى . لكن يبقى لدينا مع ذلك بعض الوثائق وفـــى

---

(1) E.G. Turner, Roman Oxyrhynchos, J.E.A. 38 (1952) p.86.

(2) R. Cavenaille, Corpos papyrorum Latinarum Wiesbaden, 1958.

(٣) لعل مما يزيد الامر غرابة بالنسبة لقلة المعلومات عن الرومان فى اوكسيرينخـــوس أن الكتيبة الايتورية الثالثة Cohors III Ituraeorum رابطت فيها وقتـــا ما حول عام ١٠٣ م (P. Oxy. 1022; Lesquier, op. cit, p 91) وكان المتوقع ان نجد وفرة من الجنود المسرحين من هذه الكتيبة مستقرين فـــى ذلك الاقليم . ولعل مما يمكن أن يفسر قلة المواطنين الرومان فى هذا الاقليم أن الاراضى الزراعية فيه لم تجتذب الراغبين فى الاقامة بمصر من الجنود المسرحـــين بمثل ما اجتذبتهم اراضى اقليم الفيوم المليئة بفرص الاستثمار .

(٤) يلاحظ أن اكثر الوثائق التى وصلت الينا ترجع الى العقود الوسطى مـــن القرن الثانى الميلادى .

مقدمتها وثيقة ادارة "الحساب الخاص" idios logos وبعض بنود المدونات القانونية الرومانية التى تشير الى تطبيقات القانون المدنى ius civile أو قانون الاشخاص الرومانى فى مصر ، وهى تفيد كثيرا فى تقرير خصوصية وضع المواطنين الرومان فى مصر من الناحية القانونية .

والواقع انه إن كان ثمة ما يؤسف له فى مجال نقص الوثائق عن الرومان فى مصر — مثلما يؤسف له بالطبع بالنسبة الى سائر جوانب الدراسة التاريخية لتلك الحقبة — فهو فقدان وثائق مدينة الاسكندرية عاصمة الحكم والادارة ومركز الجذب للرومان من خارج مصر ولفئات السكان المختلفة من داخلها . هنالك كان الوجود الرومانى أقوى وأوقع واكثر فعلا وادعى الى أن يعكس فى الوثائق ردود فعل سائر عناصر السكان المقيمين فى المدينة ازاء هذا الوجود . وقد لا يعنينا فى المقام الاول والأهم القائمين على اداة الحكم فى العاصمة بدءا من والى مصر وهو رأس السلطة المركزية ، ومعاونيه من كبار الموظفين الرسميين الرومان حتى وظيفة مدير عموم المنطقة epistrategos ، وكان أولئك يمارسون صلاحياتهم الرسمية وهم ملىء السمع والبصر ، وانما يعنينا بصفة أخص اولئك الرومان الذين اجتذبتهم تلك العاصمة التى كانت تعج بالحركة ليمارسوا فيها نشاطهم الاقتصادى تجارا او رجال اعمال واصحاب مصارف وارباب عقارات فى أرياض الاسكندرية وملاك اراضى زراعية فى مجاوراتها او فى أقاليم مختلفة من " ريف" مصر ، حيث تولى وكلاؤهم ادارتها لحسابهم هناك . وللمرء أن يتصور اى ثروة من المعلومات كان من الممكن أن توفرها وثائق المدينة الضائعة عن موضوع المواطنين الرومان فى مصر من كثير من الوجوه الاقتصادية والاجتماعية والقانونية ، بل والسياسية ايضا .

وقد نجد فى هذا الموضع من الحديث مناسبة للتنبيه الى أن الدراسة المبتغاة عن هؤلاء المواطنين تنصب على اولئك الذين اقاموا بمصر اقامة دائمة مؤلفين فى مجموعهم ما يمكن أن نسميه " بالجالية " سواء أكانوا مواطنين رومانا بالاصل أم بالتجنس ام بالاكتساب ، بمعنى أن هذه الدراسة لا تدخل فى حسابها الموظفين الرسميين الرومان على اختلاف مستويات وظائفهم ، فهؤلاء كانوا يؤدون سنوات خدمتهم بالبلاد

ثم يغادرونها ، وكذلك اولئك النفر من وجهاء الرومان الذين كانوا يفدون الى مصر لاغراض السياحة أو العلاج ثم يرحلون . كذلك تستبعد الدراسة كبار ملاك الاراضي الرومان من أفراد عائلة الامبراطور رجالا ونساء ، او عتقائه liberti او خلصائه واصفيائه ، وهؤلاء واولئك جميعا امتلكوا في مصر مساحات كبيرة من أراضي "الوسية" ousiai ، خاصة ابان القرن الاول من الحكم الروماني ، لكنهم كانوا ملاكا متغيبين" absentees (١) ، وربما لم تطأ اقدامهم ارض مصر قط .

هذه الجالية الرومانية في الحدود السابقة المرسومة ضمت أفرادا اتوا من مصادر شتى، اولها من حيث الترتيب التاريخي اولئك الرومان الذين كانوا مواطنين بحكم المولد أصلا وقدموا الى مصر في ركاب الاحتلال ليعملوا في المجالين المالي والاقتصادي مستفيدين من الامتيازات العديدة والمركز الرفيع الذي حظي به المواطنون الرومان . وقد تركز الجانب الاكبر من نشاطهم اولا في مدينة الاسكندرية حيث نجد عددا كبيرا من المشتغلين بالتجارة والصيرفة في عهد اوغسطس يحملون اسماء تفصح عن هويتهم الرومانية (٢)

---

(١) لعلنا نقدر أن من العوامل التي أعاقت تقدوم كثير من ملاك الاراضي الكبار الى مصر ولو لفترة محدودة لمعاينة اراضيهم التي منحها اياهم الاباطرة وكانت تستثمر في مصر لحسابهم ، تلك القاعدة التي استنها الامبراطور اوغسطس وهي عدم السماح لاعضاء مجلس السناتو الروماني بل ايضا الفرسان المبرزين (او نابهي الذكر) equites illustrii بدخول مصر الا باذن خاص من الامبراطور . وقد اعتبرت هذه القاعدة مبدأ ثابتا من أركان السيطرة والحكم arcana dominationis على حد تعبير المؤرخ تاكيتوس (Tacit. Hist. I 11.) وقد طبق الاباطرة من خلفاء اوغسطس هذه القاعدة بدقة لانها كانت احتياطا ضد خطر قيام أحد من ذوي السلطة والطموح الرومان بالاستقلال بولاية مصر الغنية عن الامبراطورية الرومانية ، الى أن فقدت هذه الولاية أهميتها بعد أن تدهورت احوالها الاقتصادية راجع : Piganiol, Le Status Augustéen a l'Egypt et sa destruction, Mus. Helv., (1953), pp 200-201.

(٢) من هؤلاء Marcus Tegellus (BGU. 1180) من عام ١٥/١٤ ق.م ومنهم أيضا Cornelia Tatia (BGU.1158) من عام ١ ق.م. قارن ايضا : L.West, Phases of Commercial life in Roman Egypt, J.R.S., 7 (1917), p. 56.

كما نجد بعض القرائن على وجود نشاط لهم ، فى الاقاليم منذ ذلك العهد (١) . ويطرد ذكر الرومان 'Romaioi بعد ذلك فى الوثائق الخاصة باقرارات الاحصاء المنزلى Kat' oikian anoygrafai الذى كان يجرى فى عموم مصر بصفة دورية كل أربعة عشر عاما (٢) بما يفيد اقامتهم بانحاء من البلاد . ولا شك أن الكثير منهم كانوا من ملاك الاراضى ، ويتضح من المقارنة ان ملكياتهم فى القرن الاول من الحكم الرومانى كانت كبيرة نسبيا اذا قيست بمساحات ملكياتهم فى القرن الثانى . غير أنه ينبغى ان نلاحظ أن توافد هؤلاء الرومان على مصر فى أعقاب الاحتلال لم يكن يماثل بأى حال حجم توافد العنصر الاغريقى عليها بعد قيام الحكم البطلمى ، ولا نعرف أن أحدا من الاباطرة انتهج فى مصر سياسة انشاء مستوطنات رومانية ، كما فعل بعضهم فى ولايات اخرى . كذلك نستدل من حصيلة مالدينا من الوثائق ان تغلغل هؤلاء الرومان فى حياة الاقاليم كان محدودا .

وأما المصدر الثانى لافراد الجالية الرومانية فى مصر فكان من الذين تجنسوا بالجنسية الرومانية بمقتضى منحة من أحد الاباطرة ، وكان يأتى فى مقدمة هؤلاء مواطنو مدينة الاسكندرية الذين شغلوا فى سلم الترتيب الطبقى المكانة التالية مباشرة بعد المواطنين الرومان . وقد كان من الامتيازات المهمة التى خص بها الرومان هؤلاء المواطنين الاسكندريين دون سائر سكان مصر حق الحصول على المواطنة الرومانية مباشرة (دون أن يؤدوا الخدمة العسكرية فى الجيش الرومانى بضعا وعشرين عاما) .

---

(١) من هذه القرائن وثيقة باللاتينية من عام ١ م عن الاجور المدفوعة الى صناع نسيج وعمال ومعهم مقدم العمل Textores, conductei & magister. والوثيقة من اكسيرينخوس والاشارة فيها قوية الى أن صاحب مصنع النسيج او مديره من أصل ايطالى
P. Oxy. 737 (=C.P.I. 311)

(٢) P.S.I. XI, 1183 (=C.P.L. 170); P. Oxy 255

والوثيقة الاولى باللاتينية وقد أرجعها فيلكن الى عام ٤٨ م لانه يوافق عام احصاء ، وكذلك الثانية التى أرجعها الناشرون الى العام نفسه .

ونحن نعلم من احدى المراسلات المشهورة بين الامبراطور تراجان والكاتب بليني الاصغر في حوالي عام ١٠٠م انه كان يتعين على أى مصرى يسعى الى الحصول على حق المواطنة الرومانية أن يحصل اولا على حق المواطنة الاسكندرية (١) . وازاء شعور الاسكندريين بعدم الارتياح لوجود طبقة أرفع واكثر تميزا منهم من الناحية الرسمية بالبلاد ، سعوا بكل وسيلة الى اكتساب الجنسية الرومانية مستفيدين بهذا الامتياز المذكور . وهكذا وجدنا عددا كبيرا من المواطنين الرومان في مصر كانوا في الاصل اسكندريين .

اما المصدر الاكبر للمواطنين الرومان في مصر فكان في الواقع هو جيش الاحتلال الروماني الذى كان عدد افراده في عهد اوغسطس يجاوز اثنين وعشرين الفا ، وان خفض بعد ذلك غير مرة (٢) . وقد كان هذا الجيش يتألف من فرق اساسية legiones لا يجند فيها الا المواطنون الرومان (٣) وينخرطون في سلك الخدمة فيها خمسة

---

(١) Pliny, Epistul., X, 6-7

(٢) يذكر استرابون (Strabo, XVII, 1- 12) أن اوغسطس اقام في مصر حامية قوامها ثلاث فرق وتسع كتائب وثلاثة آلايات من الخيالة ، وقدر لسكييه Lesquier هذه القوات على أساس ان عدد الفرقة ٥٦٠٠ وعدد كل كتيبة او آلاى ٥٠٠ فكان المجموع ٢٢٨٠٠ ، وهو عدد اكبر كثيرا مما كان يتطلبه إحكام الدفاع عن مصر وإقرار الأمن بين ربوعها . وعندما استقرت الامور في الولاية سحبت منها فرقة كاملة في عهد الامبراطور تيبيريوس (وربما قبل ذلك في عهد اوغسطس — حوالي عام ٩م) ليصبح عدد افراد الحامية ١٦٧٠٠ ، وقد أنقص العدد مرة أخرى في القرن الثاني الميلادى ليصبح فرقة واحدة وخمس كتائب وأربع آلايات للخيالة بالاضافة الى كتيبة تألفت من ألف جندى هي كتيبة اولبيا الاولى Coh. I Ulpia فيكون العدد الاجمالى لذلك هو ١١١٠٠ جندى راجع :
Lesquier, l'armée romanie en Egypte, pp. 101-114.

(3) J. Barns, Three Fayum Papyri, Chrom.d'Eg. 24 (1949), pp. 296.
حيث نجد في الوثيقة الثانية من هذه الوثائق الثلاث رومانيا يدعى T.Flavius Longus من فرقة قورينة الثالثة legio 111 cyrenaica
يؤكد انه مواطن رومانى من اصل حر وبالتالى له الحق في الخدمة في فرقة رومانية ويؤيده في ذلك شهود اقسموا القسم . ويبدو ان الامر كان متعلقا باجراء تحر عن حق هذا الشخص في الخدمة في صفوف الفرق . قارن ايضا :
C.P.L. 102, p 200: ".. ingenum et civem Romanus esse iusque militandi in legione habere..."

وعشرين سنة ، وكتائب Cohortes من القوات المساعدة auxilia وكان الغالبية العظمى من افرادها يجندون من غير الرومان peregrini من جميع ولايات الامبراطورية ويؤدون الخدمة العسكرية ستا وعشرين سنة في صفوف المشاة او الخيالة او الاسطول ، وعند تسريحهم بعد نهاية الخدمة تسريحا مشرفا honesta missio كانوا يكافئون بمنحهم حق المواطنة الرومانية . وسواء أكان هؤلاء الجنود المسرحون Veterani مواطنين رومانا في الاصل أم اكتسبوا الجنسية الرومانية من خلال أداء الخدمة العسكرية ، فان كثيرا من هؤلاء واولئك آثروا البقاء في مصر بعد تسريحهم من الجيش بعد أن ألفوا الحياة في البلاد نحوا من ربع قرن هي مدة خدمتهم العسكرية اذا اتفق ان قضوها كلها في مصر كما كان يحدث في غالب الاحوال ، لا سيما وأنهم كانوا في خلال هذه المدة ينشئون مع الاهالي علاقات اقتصادية واجتماعية لم يكن من السهل التحلل من ارتباطاتها . ومن ناحية أخرى وجدنا كثيرا من الاغريق المصريين من ذوي الاوضاع الممتازة في عواصم الاقاليم metropoleis يحصلون على حق المواطنة الرومانية من خلال ادائهم الخدمة العسكرية . ذلك أنه منذ عهد الامبراطور هادريان (١١٧–١٣٨م) مالت سياسة الاباطرة الى تعبئة جنود الحاميات الرومانية في الولايات من أهلها بعد أن ظلت السياسة الرومانية على مدى قرن ونصف قرن منصرفة الى تعبئة هؤلاء الجنود من خارج الولاية (١) . ولذلك نلاحظ أن عددا كبيرا من الجنود المسرحين الذين تتعلق

---

(1) N.Lewis, Life in Roman Egypt, p. 20; H. Devijver, The Roman Army in Egypt (Aufstieg und Niedergang der Romischen Welt, Band I, Berl. 1974) p. 458

غير أنه ينبغي أن نشير الى نقش نيقوبوليس المهم الذي نشره الدكتور عبد اللطيف احمد علي في عام ١٩٥٥

A. A.Aly., Alatin Inscription from Nicopolis (Ann, Fac.Arts, Ain Shams Univ.,3(1955) pp 113-146.

والذي يتضمن اهداء الى الامبراطور انطونينوس بيوس كتبه عدد من الجنود بمناسبة تسريحهم في عام ١٥٧ م من فرقة تراجان الثانية الباسلة legio II Traiana fortis التي كانت مرابطة بمعسكرها في نيقوبوليس قريبا من الاسكندرية . والمفروض ان هؤلاء الجنود تم تجنيدهم في عام ١٣٢ أو ١٣٣ م أي أثناء حكم هادريان . لكنه من جملة عددهم الذي لايقل عن ١٣٥ لانجد مصريا واحدا (اوعلى اكثر تقدير احد المصريين وفقا لقراءة لاحقة) اما الاكثرية (٨٩) فاصلها من افريقيا كما ان هناك خمسة عشر أصلهم من ايطاليا . ويتعارض هذا مع ما ورد بالمتن عاليه لكن يمكن تفسيره بأنه استثناء من سياسة هادريان الجديدة وأن الامر له علاقة بظروف الاضطرابات التي اشاعها اليهود في مصر وفي فلسطين في ذلك الوقت.

بهم الوثائق المصرية منذ منتصف القرن الثانى الميلادى وتتحدث عنهم كمواطنين رومان ، كانوا فى الاصل من مواطنى عواصم الاقاليم المصرية .

والى جانب هذا التنوع فى المصادر التى أمدت " الجالية الرومانية " بأفرادها المقيمين فى مصر اقامة دائمة ، فان الوثائق تشير الى تنوع الاعمال وتباين وجوه النشاط التى مارسها هؤلاء الافراد . لكن العنصر الغالب من حيث الكثرة العددية هم اصحاب الملكيات الثابتة من العقارات ومن الاراضى بشتى أنواعها على وجه الخصوص . وكتفسير لغلبة هذا العنصر ينبغى أن نأخذ فى الاعتبار طبيعة الوثائق البردية كمصدر حيث يرد هذا النوع من الملكيات الثابتة فى المحل الاول من الوثائق الكثيرة المتعلقة بتصرفات البيع والشراء وقوائم الضرائب وسائر العقود والوصايا . وعلى ذلك فان من الممكن ان يكون لاحد اصحاب هذه الملكيات نشاط اقتصادى اضافى فى مجال صناعى وتجارى ، لكن هذا النشاط لا يتردد ذكره فى المصادر . كذلك ينبغى الا ننسى طبيعة الاقتصاد المصرى الذى كان ابان العصور القديمة برمتها اقتصادا زراعيا ، وأن جانبا كبيرا من الجنود المسرحين وجهوا استثماراتهم عندما استقروا فى البلاد الى امتلاك الاراضى والعقارات فى " ريف " مصر ، ويبدو ذلك واضحا على وجه الخصوص فى وثائق كرانيس (١) . وعلينا ان نتذكر ايضا ما سبق أن نوهنا عنه من افتقارنا الى المصادر الوثائقية الخاصة بمدينة الاسكندرية حيث تركزت بالتأكيد مجالات نشاط غير زراعية للرومان .

ولعل البردية رقم ٧٩ من بردياته ييل P. Yale 79 تقدم لنا مثلا واضحا على هذا التوجه القوى الى امتلاك الاراضى الزراعية من جانب المواطنين الرومان سواء كانوا جنودا فى الخدمة او جنودا مسرحين او مدنيين ، ويرجع تاريخ هذه الوثيقة الى عام ٢١٧م ، وتتضمن قائمة أعدها كاتب قرية فيلادلفيا بالفيوم بأسماء ملاك الاراضى فى القرية لتكون اساسا لجباية ضريبة خاصة لتوفير بعض الامدادات لجيوش

---

(1) I. Biezunska - Malowist, op. cit., p. 281.

الامبراطور كاراكالا في احدى حملاته على سوريا ، وقد سجل امام كل مالك مقدار ملكيته من الارض مصنفة الى ارض الحبوب γῆ σιτική وأراضي البساتين γῆ κηπευτή وقد أحصى "أوتس" في هذه القائمة مائة وسبعة وستين من الملاك المقيمين بالقرية ، منهم عشرون من الجنود المسرحين واحد عشر من الجنود واثنين آخرين يعرف من وثائق اخرى أنهما من الرومان . أى ان عدد ملاك الاراضي في فيلادلفيا من الرومان في ذلك الوقت بلغ ثلاثا وثلاثين ، وهي نسبة عالية تقارب العشرين في المائة من مجموع ملاك الاراضي الخاصة (١) . ومن ناحية أخرى اظهرت الدراسة التحليلية لقوائم الضرائب في قرية كرانيس (المنشورة في الجزء الرابع من برديات ميشجن P. Mich. IV) ان تزايد الاسماء الرومانية في هذه القوائم يتناسب تناسبا طرديا مع تزايد حجم المساحات ، بمعنى ان المواطنين الرومان كانوا يمثلون نسبة عالية ايضا من كبار ملاك الاراضي (٢)

والواقع ان مقدرة الجندي المالية عند تسريحه كانت تتيح له فرصة امتلاك الارض — والعقار على نحو يسمح له بأن يبدأ حياته المدنية بعد التقاعد كرجل اعمال له وزنه . ذلك أن الجندي كان يحصل في نهاية الخدمة على مكافأة قدرها اثنا عشر الفا من الدراخمات لمن خدم في صفوف الفرق الاساسية واقل من ذلك شيئا ما لمن خدم في القوات المساعدة ، كذلك يبدو أن جزءا من مرتب الجندي كان يحتجز لحسابه طوال فترة خدمته على مدى ربع قرن فيما يشبه الودائع الجبرية deposita (٣) . وكان

---

(1) Oates, Philadelphia in the Fayum, op. cit.

(2) Deborah H. Samuel, Greeks and Romans at Soknopaiou Nesos, (Proc. XVI Intern. Cong. Pap., American Studies in Papyrology 23 (1981), p. 389.

(3) N. Lewis, op. cit., p 21; M. Speidel, The Pay of the auxilia, J.R.S. 63 (1973) p. 144

وعن هذه الودائع deposita انظر:

Fay. 105 (introd.) وهي مؤرخة عام ٨٠ م.

هذا المرتب منذ عهد الامبراطور دوميتيان ١٢٠٠ دراخمة بالنسبة الى جنـــدى الفرق الأساسية ووحدات الخيالة و ١٠٠٠ دراخمة بالنسبة الى جندى القـــوات المساعدة(١). وفى خلال فترات الهدوء والاستقرار التى لم يكن الجندى يقـــوم فيها بمهام قتالية والتى كثيرا ماكانت تطول ، وجد هذا الجندى متسعا من الوقـت والمال لممارسة صفقات وأعمال تدر عليه اما ربحا سريعا وسهلا ، او ربحا وفـــيرا فى مشروعات طويلة المدى ، وقد شملت هذه الأعمال شراء العبيد وبيعهم ، واقـراض الاموال لقاء فائدة شهرية قدرها واحد فى المائة ، وهى فائدة مجزية وان كـــان الجنود لم يقنعوا بها فزادوها بالرغم من منافاة ذلك القانون . ونستطيـــع أن نذكر بضع حالات واردة فى الوثائق تبين قدرة الجنود المالية ، ومنهـــا حالة لجندى كان قادرا على شراء نول لقاء ثلاثة عشر الفا من الدراخمـــات دفعها فورا ، وآخر كان يمتلك قاربا نهريا حمولته خمسمائة اردب (حوالـــى ١٢½ طن) ويستأجر بحارا لتشغيله لحسابه ، وثالث يسجل فى وصيته قائمـــة بممتلكاته التى ضمت — الى جانب متعلقاته الشخصية والعسكرية — مالا سائـــلا قدره ثمانى قطع ذهبية ، و ١٩٩½ وزنه : (تالنت) من الفضة ، وهو ما تربـــو

---

(١) لا خلاف هناك حول راتب جندى الفرق لاننا نعلم انه كان قبل عهـــد الامبراطور دوميتيان (٨١—٩٦م) يعادل ٢٢٥ دينارا رومانيا (= ٩٠٠ دراخمة) ثم زيد فى عهده الى ٣٠٠ دينار (= ١٢٠٠ دراخمة) ، ويفترض أن اجـــر الجندى فى وحدات الخيالة — الفرسان — كان مساويا لذلك (راجـــع Speidel, op. cit., p 141 ، والمصادر المذكورة عنده) أمـــا الخلاف فكان حول أجر جندى القوات المساعدة . وقد قبل الباحثـــون الآن الاعتماد على وثيقة بردية تاريخهـا ٨١م وتتضمن بيان دفعة الراتب ربـــع السنوية الخاصة باثنين من الجنود (P. Gen. Lat. 1 recto)
فاذا سلمنا بان هذين الجنديين كانا يخدمان فى القوات المساعدة واخذنـــا بتصويب الاستاذ فينك للرقم الوارد فى الوثيقة من ٢٤٨ الى ٢٤٧½ اصبـــح الراتب السنوى المدفوع هو (٢٤٧½ × ٤ = ٩٩٠) يضاف اليه عشـــــر دراخمات هى نسبة الواحد فى المائة التى كانت تستقطع عادة من مرتـــب الجندى لاسباب غير محددة وكان اصل المرتب هو ١٠٠٠ دراخمة أى مـــا يعادل ٦/٥ مرتب جندى الفرق . راجع
Speidel, op.cit., pp 142-6; R.O. Fink, Roman Military Records on Papyrus (1971) p. 251.

قيمته على المليون دراخمة (لولا ان التضخم وتدهور قيمة العملة فى وقت تحرير الوصية كان قد وصل الى معدل مرتفع) وقد كان جزء من مال صاحب الوصية محفوظا بخزانته ، لكن الجانب الأكبر منه كان يمثل قروضا له فى ذمة مدينين بلغ عددها خمسة عشر قرضا (١) .

كذلك فإنه فى مثل هذه الظروف من استقرار الاحوال وعدم انهماك الجنود فى أعمال القتال مع توفر القدرة المالية لديهم ، كان من الطبيعى ان ينغمسوا فى الحياة الاجتماعية فى خارج المعسكرات وينشئوا مع الأهالى علاقات كانت ثمرتها إنجاب أبناء وتكوين أسر . وعلينا ان نتذكر هنا أن سنوات الخدمة العسكرية الطويلة كانت بالنسبة الى هؤلاء الجنود هى سنوات الشباب والرجولة الناضجة وكان مما يخالف طبيعة الأشياء أن يظل الجندى الشاب الى سن الاربعين أو يزيد عطلا من زينة الاقتران بالمرأة والانجاب . ومن المعروف أن القانون الرومانى كان يحظر على الجنود الزواج فى أثناء الخدمةالعسكرية ، حيث لم يكن حق الزواج Conubium يمنح لهم الا بعد تسريحهم (٢) . غير أنه يتضح من الوثائق ان هذه القاعدة انتهكت ، (٣) وعاشر الجنود فى أثناء الخدمة نسوة من الاهالى معاشرة الازواج ، وانجبوا منهن أبناء كانوا أما القانون أبناء غير شرعيين Spurii باعتبار انه لم يكن هناك عقد يقيم زواجا شرعيا iustum matrimonium وحتى عهد الامبراطور هادريان ، كانت تصدر عن الاباطرة أوامر تؤكد حظر زواج الجند ، أثناء الخدمة ، لكن السلطات الرومانية تغاضت عن

---

(1) N. Lewis, op. cit. p. 21.

(2) Lesquier, op. cit. pp. 262 f; Taubenschlag, The Law of Greco-Roman Egypt, Warsaw 1955. p. 108-9.

(3) Metteis, Chrest., 372; Cf. C. Préaux, Chron. d'Eg. XVI (1941) pp. 146 ff.

تلك الممارسات غير القانونية ، وعند تسريح الجندى آخر الأمر كان يعترف بزواجه الذى تم أثناء خدمته ، وعليه فان حصوله عندئذ على حق المواطنة كان يشمل زوجته وأبناءه.(١) غير أن كثيرا من المشكلات كانت تنشأ فى حالة وفاة الجندى الأب قبل تسريحه حيث لايكون للابناء عندئذ حق الميراث . وقد وصلنا عدد من القضايا فى صورة التماسات رفعتها أمهات لهؤلاء الابناء الى السلطات طالبات اقرار حق ابنائهن فى الارث . وكان الحكم يصدر بعدم شرعية ذلك(٢) . وازاء تزايد حالات انتهاك قاعدة حظر زواج الجنود وتزايد مشكلات قضايا الميراث ، لم يجد الامبراطور هادريان بدا من اصدار قرار فى عام ١١٩ يقضى بمنح هؤلاء الأبناء الحق الشرعى فى أن يرثوا آباءهم(٣) .

ولعل من الواضح أنه لم يكن من اليسير على الجندى بعد تسريحه أن يتحلل من هذه الروابط الاقتصادية والاجتماعية ، وانما كان من الطبيعى ان يتخذ الجنود المسرحون مقامهم فى مصر متمتعين بما يتيحه لهم حصولهم على حق المواطنة الرومانية من مركز أدبى وامتيازات جمة . واعفاءات كلية أو جزئية من الضرائب ومن العمل الالزامى او الجبرى(٤) . كما أن عددا من هؤلاء الجنود كانوا من أهل البلاد

---

(1) BGU. 113

(2) Lesquier, op. cit., pp 263-79.

(٣) B.G.U.140 . ونشير فى هذا الخصوص الى أن المادة ٣٥ من مدونة ديوان "الحساب الخاص" idios logos قد نصت على أنه من حق أبناء وأقرباء الجنود الذين يموتون اثناء الخدمة دون كتابة وصية أن يرثوا عنهم P. Gnom (35) ولما كانت هناك بعض الدلائل على أن هذه المدونة أخذت شكلها النهائى فى أيام الامبراطور هادريان : P. Swarney, The and Roman idios logos, pp. 121-2

فان من المرجح ان هذه المادة ادخلت فى المدونة فى وقت صدور قرار الامبراطور فى العام المذكور .

(٤) عن هذه الاعفاءات التى مُنحها الجنود المسرحون منذ وقت سابق على الحكم الرومانى فى مصر (مرسوم او كتافيان فى عام ٣١ ق.م المتضمن فى وثيقة بردية هى BGU.628) وعن تطورها بعد ذلك راجع :

N. Lewis. Exemption from Liturgy in Roman Egypt (Acts X Intern Pap., Varsovie 1964) pp.72-3

والمصادر التى يُحيل اليها فى دراسته .

أصلا ، لذلك غدا عنصر الجنود المسرحين كما أسلفنا ، هو المصدر الاكبر للمواطنين الرومان في مصر . وكان أمرا طبيعيا أن نجد هذا العنصر هو الغالب في الوثائق التي نعتمد عليها في دراسة الموضوع برمته ، من حيث أن تتبع مسار حياة المواطن الروماني وأحواله المعيشية ونشاطه العام في مصر يصبح اكثر امكانا بالنسبة الى هذا العنصر اكثر منه بالنسبة الى العناصر الاخرى المكونة للجالية الرومانية بالبلاد . والذي يتطلبه الامر من الدارس هو ترتيب الوثائق المتاحة ترتيبا متتابعا منذ وقت تسريح الجندي وحصوله على حق المواطنة الى الوقت الذي نجده فيه مستقرا في ناحية من البلاد بوضع محدد .

ولدينا أولا من تلك الوثائق التي تلقي ضوءا على ظروف استقرار الجندي المصري في مصر في البداية مجموعة من وثائق عملية فحص المستندات ἐπίκρισις التي كانت تجرى تحت اشراف والي مصر نفسه أو احد كبار المسئولين العسكريين ينيبه الوالي عنه في هذا الصدد . وقد أصبح من الواضح لنا الآن ان عملية " فحص المستندات" كانت بكل أنواعها ومستوياتها في مصر اجراء اداريا الهدف منه اثبات وضعية اجتماعية يترتب عليها التمتع بحقوق او امتيازات بعينها .(١)

وقد كان هذا الفحص الذي يتولى امره والي مصر او نائب عنه يتعلق أساسا بشئون مواطنين رومان " يرد ذكرهم تعميما باسم الرومان ῥωμαῖοι وجنود مسرحين ἀπόστρατοι مؤهلين بحكم وضعهم للحصول على حق المواطنة الرومانية بعد اقرار حقهم فيها ، الى جانب فئات أخرى من السكان هم في الاغلب تابعون لهؤلاء أو اولئك . ولدينا الآن من وثائق هذا النوع من الفحص ثلاث عشرة وثيقة منشورة ، منها سبع (وربما ثمان) تتعلق بالجنود المسرحين ، حيث نرى المطلب المتكرر فيها هو طلب الجندي السماح له — اما بمفرده أو مع ابنائه — بالاقامة بناحية ما من البلاد . ومن المعلوم ان المتقدم بهذا الطلب كان يتعين عليه المثول بنفسه أمام لجنة الفحص حيث يقدم المستندات المطلوبة ، ونقصد

---

(1) F. El-Kadi, The Epikrisis in Roman Egypt (in Greek), Athens 1973, pp. 29-32.

بها "الدبلوما" Diploma أو براءة التسريح المشرف من الخدمة العسكرية missi honesta missione وكانت على هيئة لوح برونزى مزدوج مسجل فيه اللاتنية ما يفيد هذا التسريح المشرف للجندى سواء أخدم فى الفرق الأساسية أم فى القوات المساعدة ، مع ذكر الحقوق والامتيازات المترتبة على هذا التسريح ، ولما كان الاستهلال الوارد في صدر كل وثيقة من وثائق هذا الفحص تفيد بأنها مستخرج ἀντίγραφον من سجل فحص المستندات الخاص بالوالى (فلان) (١) ، فان من المفترض ان الطالب كان يزود عند اقرار حقه بوثيقة يستخدمها فيما بعد فى شتى المعاملات ومنها سعيه للاقامة فى مكان محدد بالبلاد (٢).

---

(١) بمقارنة الصيغ المتفاوتة الواردة فى صدر كل من الوثائق الثلاث عشرة يمكن ايراد الصيغة الموحدة على النحو التالى: ἀντίγραφον ἐκ τόμου ἐπικρίσεων (N) γενομένου ἡγεμόνος Αἰγύπτου.

(٢) قد يثير التساؤل ورود عبارة "الاقامة لوقت ما" παρεπιδήμειν πρὸς καιρόν التى قد توحى بأن امتياز الاقامة كان يمنح لفترة محدودة ربما لأن ادارة الوالى كانت تريد مراقبة تحركات الجنود المسرحين فى مصر مراقبة دقيقة. غير أنه لا توجد لدينا أدلة قاطعة على أن حق الاقامة فى مكان ما لهؤلاء الجنود كان مؤقتا ، وليس هناك أيضا اى اشارة الى أنه كان على الجندى المسرح الذى يغير محل اقامته فى مصر أن يتقدم لعملية "فحص" جديدة أو اجراء ادارى من نوع خاص ، راجع :
C.A. Nelson, Status Declarations in Roman Egypt (Am. Stud. Pap. Vol. 19) p. 45.

وفى مجال توثيق الحقوق يمكن أن نضيف الى وثائق فحص المستندات وثيقتين أخريين ترجعان الى تاريخ واحد تقريبا ، وتوضحان مدى حرص الجندى المسرح على أن يكون مزودا منذ البداية بالأوراق الرسمية التى تثبت وضعه القانونى (١) . والوثيقة الاولى بردية نشرت منذ وقت قريب، وترجع الى عام ١٤٩ م ، وهى خطاب من موظف رومانى كبير (لا تفصح البردية عن وظيفته) يدعى اورليوس بترونيوس الى الكاتب الملكى basilicogrammateus لقسم هيراكليدس باقليم ارسينوى ، يطلب اليه ان يزود جنديا انهى خدمته العسكرية فى أحد الايات الخيالة بشهادة تفيد أنه معفى من اداء ضريبة الرأس ἐκ δόσεως ἐπικεφαλίων (٢) وأما الوثيقة الثانية (٣) فتاريخها هو عام ١٥٠م، وهى أكثر دلالة على حرص الجندى على أن يكون المستند الذى بيده خاليا من كل لبس او ابهام . وهى بردية لاتينية محررة فى بلدة قيسارية Caesarea (بفلسطين) . وتتضمن طلبا تقدم به اثنا وعشرون جنديا مسرحا رغبوا فى الاستقرار بمصر . وكان هؤلاء الجنود قد بدأوا خدمتهم العسكرية فى الاسطول ثم نقلوا الى الخدمة فى احدى الفرق الاساسية (legio X Fretensis) ولذلك طلبوا تزويدهم بمستند رسمى يفيد أنهم سرحوا من الخدمة كجنود من الفرقة

---

(1) P.Oslo, inv. 1518 (=M.H.Eliassen, A Vereran's Exemption from Epikephalia, Proc. XVI Inter.Cong. Pap.1981).

(٢) يثير موضوع هذه الوثيقة شيئا من الحيرة لان الموظف يطلب الاعفاء من هذه الضريبة لشخص المفروض انه معفى منها أساسا باعتبار أحقيته فى المواطنة الرومانية ، مما يفسح مجالا لتفسير معنى ἐπικεφάλια بأنه خدمات الزامية وليس ضريبة رأس مع الربط بين هذا التفسير والاحتمال الذى يبدو قويا من الوثائق وهو أن الاعفاءات التى تمتع بها الجنود المسرحين تقلصت فى عهد الامبراطور انطونينوس بيوس راجع :

Eliassen, loc. cit

(3) P. S. I. 1026.

المذكورة وليس من الاسطول . وفى تذييل بأسفل الوثيقة كتبه المسئول الرومانى الكبير الذى قدم اليه الطلب ، نجد التنويه عن أن العادة لم تجر بتزويد الجنود المسرحين من الفرق الاساسية بوثائق مكتوبة ، باعتبار أنهم كانوا مواطنين رومان فعلا ابان سنوات خدمتهم) ، لكنه يوافق على تزويدهم بالوثيقة المطلوبة (بالاضافة الى مكافأة نهاية الخدمة) . ومن الواضح أن هؤلاء الجنود كانوا يخشون وقوع اللبس عند السلطات فى مصر فتعتبرهم مسرحين من الاسطول الذى بدأت خدمتهم العسكرية فيه مما يؤثر على وضعهم وامتيازاتهم ، فأرادوا تأكيدا لا لبس فيه بأنهم سرحوا من فرقة رومانية ، أى على حالة كونهم " مواطنين رومان " .

وفى سياق تتبعنا لحياة الجندى المسرح وهو يبدأ حياته الجديدة مواطنا رومانيا ، نورد بعد ذلك وثيقة مهمة فيها شىء من الطرافة أيضا لأنها تتيح فرصة قراءة مابين السطور على حد تعبير ناشرها الاول لويس(١) . وتقدم لنا هذه الوثيقة المؤرخة فى عام ١٣٦م انموذجا واضحا للطريق الذى كان يسلكه هذا الجندى وهو يخطط لحياته المستقبلة بعد التقاعد ، وهى تتضمن خطابا من شخص يدعى تاليريوس باولينوس لا يزال يؤدى الخدمة العسكرية ويتوقع تسريحه بعد عام ، الى أخيه تاليريوس ابولیناریوس المقيم بقرية كرانيس ، يوصيه بالعمل على تيسير مهمة حامل خطابه المذكور على النحو التالى :

" اوصيك بحامل هذا الخطاب ترنتيانوس الجندى المسرح تسريحا مشرفا ، واجعله يتعرف على طرائق حياة سكان القرية حتى لا تلحقه اهانة . وحيث انه رجل موسر ويرغب فى الاقامة هناك ، فقد بذلت له أن يستأجر منزلى لهذه السنة والسنة التالية لقاء ستين دراخمة وأن يؤجر أرضى لقاء ستين أخرى .

---

(١) SB. 9636 وانظر تعليق "لويس" على هذه البردية مؤخرا :
N. Lewis, Life in Roman Egypt, p. 23

ونحن نفهم من هذه الوثيقة جملة أمور منها أن الجندى ابان العام أو العامين الأخيرين قبل التسريح كان يدبر أمر مستقبله حين يصبح فى جعبته المال اللازم والمستندات التى تثبت وضعه الجديد الممتاز ، وأنه كان يتجه الى مكان يوفر له الاقامة الطيبة والاستثمار الطيب فى آن واحد معا . وأن الأمر كان يقتضى منه كوافد جديد أن يلتمس البداية الصحيحة فى مجتمع الأهالى حتى لا يلحقه ضرر أو مهانة . وتبدو هذه النقطة الاخيرة مفهومة لنا تماما بالنسبة الى شعور التوجس من جانب هؤلاء الأهالى ازاء هؤلاء الغرباء القادمين للاستيطان بينهم والذين كانت ذاكرتهم تحتفظ بصور عنهم وهم جنود أثناء الخدمة ينفذون سياسة الحكومة فى فرض المزيد من الأعباء دائما . وحتى لو كان هذا القادم الجديد على استعداد لأن يكون خيّرا بل محسنا ، فان أهل القرية كانوا ينظرون اليه من زاوية واحدة على الاقل وهى امتيازاته التى كانت تتضمن اعفاءات عليهم أن يتحملوها هم عنه كمجموع .

ونعلم بعد ذلك أن ترنتيانوس المذكور فى الوثيقة السابقة استقر فى كرانس ، لانه دون شك هو كلوديوس ترنتيانوس الذى عثر على مجموعة من خطاباته فى أحد منازل هذه القرية ، وعرفنا منها أن أباه كان بدوره جنديا مسرحا ، وأنه خدم فى أسطول الاسكندرية . ونحن نستطيع أن نستخلص من "أرشيفه" هذا بعض تفصيلات عن حياة جندى متقاعد يمارس حياته فى قرية من قرى مصر كما يمارسها وجهاء القوم وأثرياؤهم .(١)

ولدينا مما يشابه هذه الارشيفات المحدودة التى يمكن أن نستخلص منها معلومات مهمة عن حياة هؤلاء المواطنين الرومان الجدد بعد استقرارهم عدة أمثلة ألمحنا اليها فى موضع سابق من الحديث .(٢) لكن ربما كان أرشيف لوكيوس بللينوس جميلوس وأسرته هو أحراها بالذكر هنا واجدرها بالدراسة التفصيلية . ذلك

---

(1) Oates, The Evidence of Egypt, BASP, 2 (1964) p. 63.

(٢) راجع ما سبق ص ٧٠

أن أوراق هذه الأسرة تضم عددا وافرا من الوثائق قوامها خمسة وثلاثون خطابا (١) ، وثلاثة عقود ، وجزءا من قائمة مرتبات وأجور يحتمل أنها تخص الاسرة أما رب هذه الأسرة فكان جنديا استقر بعد تسريحه من الخدمة فى اقليم الفيوم منذ حوالى عام ٨٠م. وعندما مات بعد نحو ثلاثين عاما عن عمر يناهز السابعة والسبعين أو يزيد كان يمتلك أراضى وضياعا واسعة فى أنحاء شتى بالاقليم ، لكن أكثرها كان اما فى قرية أيو هيميريا Euhemeria (٢) (حيث كانت له فيها أيضا معصرة للزيت (٣) ، أو فى قرى مجاورة لها مثل ديونيسياس (٤) وأبياس وسنتيس (٥) وغيرها . و من مراسلات رب الاسرة خاصة مع ابن له يدعى سابينوس وشخص آخر أكثر من الكتابة له ويدعى اباجاثوس (وقد يكون ابن أخ له أو عبدا وفيا أمينا) نعلم أن الرجل كان يشرف على ادارة أعماله الزراعية اشرافا شخصيا دقيقا بالرغم من كثرة اتباعه واعوانه ، كما نراه يتصرف كشخصية بارزة فى المجتمع ، فهو مثلا لاينسى أن يرسل الهدايا الى مديرى الاقليم عندما يحل موعد الاحتفال بمهرجان الربة ايزيس ، ويأمر باعداد عشر دجاجات لتقدم فى احتفالات عيد الساتورناليا Saturnalia . ويظهر ثراء الرجل من أنه يضحى فى مناسبة ما بعجل كامل كما تظهر مودته لافراد أسرته وميله الى حياة البهجة والسرور فى حرصه على الاحتفال بعيد مولد طفل صغير لعله أن يكون حفيده من جهة ابنته (٦).

غير أن هناك بضع وثائق تشير الى أن حياة هؤلاء المواطنين الرومان الجدد لم تكن دائما خالية من المشكلات سواء مع الأهالى أم مع سلطات الحكم المحلى.

---

(1) P. Fay. 110 (introduction)
(2) P. Fay.91.
(3) P. Fay. 110
(4) P. Fay. 112.
(5) P. Fay. 111-112
(6) N. Hohlwein, Le Veteran Lucius Bellienus Gemellus. Gentleman-Farmer au Fayum, Etudes de Papyrologie VIII (1957) Pp. 69-91.

فأما عن الأهالى فقد سبق أن المحنا الى شعور التوجس الذى قابلوا به هـــؤلاء الجنود القدامى الذين كانوا من قبل أدوات السلطةالتى ما فتئت تكرههم علـــى أداء المزيد من الأعباء العينية والنقدية وهم صاغرون ، ومن ذلك على سبيل المثـــال تكلفة ايواء هؤلاء الجند وامدادهم بالمئونةوالغذاء ، فضلا عن الضرائب الآتية التى كانت تفرض عندئذ ، والتى كان الجنود لا يعدمون وسيلة لتحصيل فوائد شخصية لهـــم منها فى غمار العملية الابتزازية العامة . وهكذا كان ظهور هؤلاء القادمـــين الجدد للاستيطان يقترن فى وجدان الاهالى برموز سلطة حكومية غاشمة ، فلـــم يكن غريبا ألا يستقبلوهم بالترحاب . كذلك فاننا نتصور أنه بالرغم من وجود عناصر طيبـة بين هؤلاء المواطنين الرومان الجدد أدت أدوارا ايجابيـــة فى حياة السكـــان الاقتصادية والاجتماعية فى القرى أو عواصم الاقاليم ، فان كثيرا منهم أصروا علـــى أن يستغلوا الامتيازات الممنوحة لهم الى أقصى حد ممكن ، مظهرين شعـــور الازدراء للمصريين أو الاغريق المصريين الذين عاشوا بين ظهرانيهم . ولعلنا نستطيـــع أن نفهم ما يكون دائما من سلوك عناصر وضيعة مارست فى حماية السلطة وسائل القهـــر بالعنف واستمرأت حياة التطفل على حساب فئات مغلوبة على أمرها ، وقد انفتحـــت امامها فى التو واللحظة فرصة التميز الطبقى ، فهى عندئذ تريد أن تضع بينها وبـــين ذلك الاصل الوضيع أبعد ما يمكن من المسافات الاجتماعية بل الحواجـز الشعوريـــة . ولعل احدى الوثائق تفصح عن رد فعل الأهالى ازاء صلف او عجرفة واحـــد من هؤلاء وهى عبارة عن شكوى مرفوعة من أحد الجنود المسرحين ويدعى جايوس يوليوس نيجـر فى عام ٦٢ م (١) عن أضرار واهانـات لحقت به . والواقع أن موضوع الشكـــوى نفسه لم يصلنا بسبب ضياع الجزء الأعلى من الوثيقة ، وهو الجزء الذى يفترض ان الموضوع وارد فيه . ولكننا نرى صاحب الشكوى فى الجزء المتبقى من الوثيقة يقول : " . . . وعلى ذلـــك فحيث أن الاذى الذى وقع على واضح ، وحيث اننى رومانى لحقته مثـــل هذه الاهانات على يد مصرى فاننى أطلب . . . "

---

(1) SB. 11114

وفى وثيقة أخرى أقدم ببضع سنوات (مؤرخة فى عام ١٥٣م) (١) نقرأ ما يقرره سبعة من الشهود ، كلهم رومان ، من قرية فيلادلفيا باقليم الفيوم ، وقعوا بأسمائهم بعد ادائهم القسم . ومضمون شهادتهم أنهم رأوا الجندى المسرح جايوس مايفيوس ابلاس يضرب بالهراوات ويجلد بالسياط على يد اثنين من الحراس بأمر من مدير الاقليم هيراكس . وتبدو هذه حالة جد صارخة من التعدى على شخص مواطن رومانى وحقوقه التى كان يكفلها القانون الرومانى أمام السلطة التنفيذية للموظفين الرومان أنفسهم وليس فقطأمام هذه السلطة المحلية التى يمثلها حاكم لأحد الاقاليم المصرية .

والواقع أن لدينا من الوثائق ما يوحى بأن العلاقة بين هؤلاء المستوطنين الجدد وسلطات الحكم المحلى لم تخل من المتاعب ، وأن مبعث المشكلات كان فى الأغلب هو ميل هذه السلطات الى الانتقاص من امتيازات الجنود المسرحين وتقليص حجم الاعفاءات الممنوحة لهم . ونستطيع أن ننظم هنا فى سياق واحد اربع وثائق ترجع اثنتان منها الى حوالى عام ٦٣م والثالثة الى عام ١٣٩م والرابعة الى عام ١٧٢م . فأما الوثيقتان الاوليان فتتناولان على الارجح قضية واحدة من خلال مقابلة تمت بالاسكندريةعلى مدى أربعة أيام بين والى مصر يوليوس كايكينا توسكوس ومجموعة من الجنود المسرحين (٢) الذين رفعوا اليه شكاياتهم، ويفهم أن الوالى أجابهم بأنه

---

(1) SB. 7523 (=Select Pap. 254).

(٢) الوثيقتان هما : P. Fouad 21, p. Yale 1528 انظر الرأى المرجح لتعلقهما معا بقضية واحد فى :
Westermann, Tuscus the Prefect and the Veterans in Egypt, Class Philol. 38, pp 27-28.

هذا ويلاحظ ان ولز فى تعليقه على بردية بيل ١٥٢٨ ذهب الى أن الأمر يتعلق بجنود لا يزالون فى الخدمة فى صفوف الفرقتين المرابطتين آنذاك فى معسكر نيقوبوليس بالقرب من الاسكندرية راجع :
C.B. Welles, The immunitas of the Roman legionaries in Egypt, J.R.S. 28, pp. 48-49.
غير أن ساجريه (Sagré) رأى أن الامر متعلق بجنود مسرحين وليس بجنود لا يزالون فى الخدمة اعتمادا على عبارة واردة فى أمر الوالى اليهم (السطران ٢١ ، ٢٢ من العامود الثانى من بردية بيل المذكورة) وهى عبارة ==

سيكتب الى مديرى الاقاليم التى ينزلون بها حتى لا يتعرض لهم أحد بمضايقات طالبا منهم أن يعود كل منهم الى مباشرة شئونه دون ابطاء . وأما الوثيقة الثالثة فهى تلك التى أشير اليها مرارا فى دراسات مختلفة من قبل ، آنا للتدليل على تميز طبقة الرومان فى مصر من حيث عدم خضوعهم لسلطات الحكم المحلى ، وآنا لبيان اندماج طبقة مواطنى الاسكندرية من حيث الوضع الاجتماعى مع طبقة المواطنين الرومان بمرور الوقت (١) . وتتضمن هذه الوثيقة تلك الشكوى المشهورة التى رفعها مدير اقليم قفط Coptos الى الوالى فى عام ١٣٩م بأن الرومان والاسكندريين والجنود المسرحين العاملين فى جباية الضرائب من خلال الخدمة الالزامية المفروضة عليهم ، يرفضون الامتثال لاوامره ويعلنون انهم غير خاضعين له . ويمكن ان ننظر الى هذه الوثيقة نفسها من زاوية جديدة نستخلص منها أن ماكان يوجد فرص الاحتكاك بين الجنود المسرحين الذين استقروا فى مواطنهم الجديدة وبين السلطات المحلية هو الميل الطبيعى لدى هذه السلطات للانتقاص من امتيازاتهم . ولعل الوثيقة الرابعة التى رأينا أن نسلكها فى السياق نفسه تؤكد لنا هذا الاتجاه وهى وثيقة ترجع الى عام ١٧٢م وتتضمن شكوى من أحد ملاك الاراضى من الجنود المسرحين المقيمين فى قرية كرانيس بالفيوم ويدعى جايوس يوليوس ابوليناريوس يذكر فيها أن السلطات لم ترع حقوقه بوصفه جنديا مسرحا فى الاعفاء من الخدمة الالزامية لمدة لمدة خمسة أعوام بعد تسريحه من الجيش ، فكلفته بأعمال من هذا النوع بعد عامين فقط من تسريحه (٢) .

= = رأى انها اكثر قربا الى وضع الفريق الاول منها الى وضع الفريق الثانى ، وهى : " فليعد كل واحد الى مباشرة شئونه دون ابطاء " ἕκαστος εἰς τὰ ἑαυτοῦ πραγματεύεσθω
Sagré, J.R.S. 30 p. 153: انظر
وقد أيد وسترمان Loc. Cit. رأى ساجريه فى هذا الخصوص .

(1) BGU. 747 (=Wilcken, Chrest. 35)

(2) BGU. 180 (Wilcken, Chrest. 396)

ولهذه الوثيقة اهمية اخرى واضحة بالطبع ، وهو ما تؤكده من أنه فى وقت ما قبل عام ١٧٢ ، وهو تاريخ تحرير الوثيقة المذكورة تقرر الا يكون اعفاء الجنود المسرحين من الخدمات الالزامية اعفاء دائما كما كان الحال من قبل وانما حدد بمدة خمس سنوات فقط .

على هذا النحو ، نرى أنه يمكن من خلال تجميع المتاح من الوثائق في سياق منطقي متتابع ان نقف على جوانب من حياة الجنود المسرحين الذين آثروا الاستقرار بمصر بعد تسريحهم وحصولهم على حق المواطنة الرومانية مما يلقي ضوءا على الدور الذى أدوه فى الحياة المصرية الاقتصادية والاجتماعية منذ بداية الحكم الرومانى حتى صدور قانون كاراكالا ، وذلك فى اطار الحقائق المعروفة عن تطبيقات القانون المدنى الرومانى فى مصر . أما دراسة مدى انتشار حق المواطنة الرومانية فى مصر ابان الفترة المذكورة والدور الثقافى او الحضارى الذى أداه العنصر الرومانى برمته فى مصر ، بما يتضمنه ذلك من بيان تأثر البيئة المصرية بمظاهر الحياة الرومانية العامة ، فتلك دراسة لها منهج آخر يتطلب بادئ ذى بدء انجاز ذلك الحصر البروسوبغرافى الشامل الذى أشرنا اليه فى بداية هذا الحديث .